مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 7 (رت 69) السنة: 2022

القلب المكاني في القراءات السبعية

The Metathesis in the seven readings

د. عزيزة سلولة [1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة
seloulaaziza@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/03/31 القبول 2022/10/17 النشر على الخط 2022/11/05
Received 31/03/2022 Accepted 17/10/2022 Published online 05/11/2022

ملخص:

يُعد القلب المكاني من التغيرات الصرفية التي تلحق اللفظ العربي، وهذا التغيير الذي يُصيب اللفظ، لا يُؤدِّي إلى تغيّر في مدلول اللفظ وإنما هو تغيير على مستوى ترتيب حروف الكلم، وهذا بدوره يُحقق غَرَضا يتمثل في التخفيف.

الذي يعتبر مَطْلَبا لُغويا، غير أن بعض النحاة ينفي مثل هذا التغيير أن يكون في القرآن الكريم، بخلاف نحاة آخرين قُدامى ومُحْدَثين أثبتوا وبأدلة هذا التغيير (القلب المكاني) وعدّوه ظاهرة صرفية مثلها في ذلك مثل: الإدغام، والإبدال، والإعلال، وقد تعَيَّن في كلام العرب، وفي القرآن الكريم بقراءاته المتواترة.

وهذا ما حَاول المقال تتَبُّعه في القراءات السبعية في القرآن الكريم وذلك من أجل إثبات أو نفي مَا ذهَبَ إليه هؤلاء وهؤلاء بالدليل والحجة.

الكلمات المفتاحية: القلب المكاني، ظاهرة صرفية، اللفظ، المدلول، القراءات السبعية، التخفيف.

Abstract:

The Metathesis is one of the morphological changes that affect the Arabic word, and this change that affect the word does not lead to a change in the meaning, but rather it is a change at the level of the arrangement of the letters of the words, and this in turn achieves the purpose of mitigation, which is a linguistic requirement, but some grammarians deny that such a change exists is in the Holy Quran, unlike other grammarians, ancient and modern, who have proven and evidenced this change (the Metathesis) and considered it a morphological phenomenon, such as: assimilation, substitution, and edification, and it was specified in the Arabs discourse, and in the Holy Quran with its frequent readings.

This is what the article tried to follow in the seven readings of the Holy Quran, in order to prove or disprove this phenomenon with evidences and arguments.

Keywords: Metathesis, morphological phenomenon, word, signification, seven readings, mitigation.

[1] – المؤلّف المراسل: **عزيزة سلولة** البريد الإلكتروني: **seloulaaziza@gmail.com**

1. مقدمة:

يمثل القلب المكاني ظاهرة لغوية، مثلها في ذلك مثل ظاهرة الاشتراك اللفظي، والتضاد والترادُف، وغيرها، وهي ليست مقتصرة على اللغة العربية فقط، بل تشترك معها بعض اللغات الأجنبية كما يشير إلى ذلك إبراهيم أنيس في كلمة صَدَّرَ بها مجلة مجمع اللغة العربية الجزء التاسع والعشرين مارس 1972، بعنوان: مسطرة اللغوي.

والقلب قلبان: قلب يلحق حروف العِلَّة وهو مقيس ويمثل نوعا من أنواع الإعلال، وقلب مكاني غير مقيس ويلحق حروف العِلَّة والحروف الصحيحة وكذا المهموزة، وهو تغيير حرف مكان حرفٍ بالتقديم أو التأخير، ويلحق بنية الكلم المفردة اسمًا مُعْرَبا كان أم فِعْلا مُتَصَرِّفا، وهو من سنن العرب في كلامها، ويكثر في كلام العرب كما يزعم ابن جني، ومن تبعه من النحاة.

وكما نعلم فإن القرآن الكريم قد نزل على سنن العرب وطرائقها في الكلام، فإن القلب المكاني قد تجَلَّى في قراءاته السَّبْعِية وإن قلَّ والشاذة وإن كَثُر فيها، كما يعتقد بذلك عبد الخالق عضيمة في كتابه دراسات لأسلوب القرآن الكريم، غير أن العلماء افترقوا في هذه المسألة فِرَقا ثلاثة:

إذ يرى الفريق الأول: تَعَيُّن القلب المكاني في بعض ألفاظ القرآن الكريم، ويقدم على ذلك شواهد وأدلة.

ويرى الفريق الثاني: احتمالية وجود القلب المكاني في بعض ألفاظ القرآن الكريم، كما يحتمل وجود غيره، كأن يكون لغة في اللفظ (وليس قلبًا مكانيا).

أما ثالث هذه الفرق: فقد اختلف في إقرار القلب المكاني، إذ يُقر بوجوده في بعض الألفاظ من قبل نحاة، وتأتي فئة أخرى تنفي ذلك.

وعلى الرغم من إقرارهم بوجود القلب المكاني في كلام الله، إلا أنهم لم يعرضوا له بالدراسة والتحليل، اللهم إلا ما جَاء في كتاب الخصائص والمنصف، والمحتسب لابن جني. واكتفوا بإيراد أمثلة عنه وهي مبثوثة في كتب النحو والصرف واللغة نحو الكتاب سيبويه، والمذكر والمؤنث للمبرّد، وغيرها، وهذا ما حملنا على كتابة هذا المقال الذي تناول بعض الألفاظ القرآنية التي تَعَيَّن فيها القلب المكاني مع عرض بعض آراء النحاة في هذا محاولين تحليل الظاهرة في السياق الذي وردت فيه لنخرج بعدها بملاحظات.

وقد اعتمدنا في ذلك المنهج الوصفي الاستقرائي الإجرائي، وإن كانت الأمثلة التي سنعرض لها بالشرح يَسِيرَة ذلك للصفحات المحدودة التي قَيَّد بها المقال، وإن شاء الله تعالى سنستكمل البحث في الموضوع في مقالات وأبحاث قابلة.

2. القَلْبُ لُغَة:

قَلَبَه يَقْلِبه قَلْبًا فهو مَقْلُوب، إذا حَوَّله عن وجهه، يقول الراغب الأصفهاني: "قلبُ الشيء تصريفه، وصرفه عن وجهٍ إلى وجهٍ، كقلب الثَّوب، وقَلَبَ الإنسانَ؛ أي صَرَفَه عن طريقتِه" [1]، وهو من "قَلَبَ الشَّيءَ قَلْبًا حَوَّلَه عن وجهه، وحجرٌ مقلوب، وكلام مقلوبٌ... وقلبه لوجهه: كبَّه... ومن المجاز: قلبَ المعلمُ الصبيان: صَرَفَهُم إلى بيوتهم"[1].

[1] الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسن بن محمد (ت. 506 هـ)، المفردات في غريب القرآن، راجعه وقدّم له: وائل أحمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، د/ط، د/ت، ص411. وانظر: ابن القطاع (أبو القاسم بن جعفر بن علي السعدي (ت. 515 هـ))، كتاب الأفعال، قدم له وضبطه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2003 م – 1424 هـ، ص404.

فالقلب: تصريف، وتحويل، وكبٌّ، وتغيير من وجه إلى وجهٍ، وهو عند النحاة نوعان: قياسي وهو كثير، وغير قياسي، ويطلق على القلب المكاني وهو كثير أيضًا.

3. القلب المكاني اصطلاحا:

للقلب المكاني تعريفات اصطلاحية كثيرة نختار منها:

تعريف ابن جني للقلب المكاني حيث يقول: "اعْلم أنَّ كُلَّ لفظين وُجِد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعًا أصلين. ليسَ أحدهما مَقْلُوبًا عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غَيْرُه، وإن لم يكن ذلك حَكَمْت بأَنَّ اَحَدَهما مقلوبٌ عن صاحبه، ثم رأيت أيهما الأصلُ، وأيُّهُما الفرع..." [2].

والمعنى أن القلب المكاني، هو تقديم وتأخير يقع في لفظين، ويكون مقيسًا * وغير مقيس، وهذا الأخير هو الذي لم يمكن أن نحكم للفظين بالأصالة، ويكون أحدهما مقلوبا عن صاحبه بمعنى أن أَحَدَهما يكون أَصْلا، والآخر فَرْعًا عليه، وشرطه في نظر ابن جني: «أن يقصُر أحدهما عن تَصَرّف صاحبه ولم يُسَاوره فيه، كان أوْسَعهما تَصَرّفا أَصلا لصاحبه كقولهم "آن" مقلوب "أَنَى"» [3] ، وهذه واحدة من علاقات القلب المكاني وعرَّفه الميداني الذي أطلق عليه مُسَمَّى "القلب الشاذ" بأنه «تقديم حرفٍ على غيره، ومراعاة هذا القلب في الميزان» [4].

وأمّا ابن عصفور فَيُعرف عنده القلب المكاني "بالقلب على غير قياس" وهو مطّرد في حروف العِلَّة،

والمقلوب على قسمين:

أ) قسم قُلِب للضرورة، نحو قولهم "شواعي" في "شوائع" [5] في الشعر قال [6] – من بحر الكامل –

وكأنَّ أولاها كِعَابُ مُقَامِرٍ ضُرِبَتْ عَلَى شُزُنٍ [7] فهُنَّ شواعي

وهذا النوع من القلب لا يعنينا.

---

[1] الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت. 538 هـ))، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، د/ط، د/ت، ص374، وانظر: الفيومي (أحمد بن محمد بن علي (ت. 770 هـ))، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الحديث للطبع والنشر القاهرة، د/ط، سنة الطبع 1429 هـ – 2008 م ص319.

[2] ابن جني (أبو الفتح عثمان (ت.392هـ))، الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد المكتبة التوفيقية، د/ط، د/ت ج2، ص47.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص47.

[4] الميداني (أحمد بن محمد (ت.518هـ))، نزهة الطرف في علم الصرف، شرح ودراسة: يُسرية محمد إبراهيم حسن، ط1، د/ت، ج2، ص277، وانظر: الرضي الإستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب (ت.646هـ))، ج1، ص21.

[5] شوائع: بمعنى متفرّقات، انظر: السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين (ت.911هـ))، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، د/ط، سنة 1431 هـ – 2010م ج1، ص387.

[6] البيت من شواهد ابن جني، (أبو الفتح عثمان، ت392هـ)، المنصف، تح: إبراهيم مصطفى عبد الله أمير، طبع ونشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، أعاد طباعته: القدس للنشر والتوزيع، ط1، 1373هـ – 1954م، م2، ص57. وانظر: الميداني، نزهة الطرف في علم الصرف، ج2، ص257 و277، وانظر: المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت.285هـ)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، د/ط، د/ت، ج1، ص140. وانظر: ابن عصفور (علي بن مؤمن ت.669هـ)، المقرب، تح: أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، ط1، 1392 – 1972، ج2، ص197.

[7] شُزُن: الناحية، انظر: المنصف، م2، ص57.

ب) وقسم قُلِب توسُّعا – وعليه مدار البحث – ولكن لم يطرد عليه فيقاس، وذلك نحو قولهم: "لاث"[1] و"شَاكٍ"[2] ، والأصل "لائث" و"شَائك".

وهذا القسم لا يمكن استيعابه لسَعَته. ومع كثرة هذا القسم من أبواب مختلفة لم يجئ منه في باب ما شيء يَصْلُح أن يُقاس عليه[3].

نفهم مما مرَّ أنَّ "القلب المكاني" كثيرا وجيء به تَوسُّعا، وعلى سَعَتِه فهو غير مُطَّرد ولا مَقيس إضافة إلى ذلك لم يُفسَّر ولم يُحلَّل من قبل العلماء، اللهم إلا ما جاء في كتاب ابن جني كالخصائص، والمنصف وسر صناعة الإعراب، وعرَّفه ابن الحاجب بأنه "إن كان قلب في الموزون، قُلبت الزَّنة مثله كقولهم في آدر أَعْفُل" [4]

وشرح هذا القول الرضي بقوله يعني "بالقلب تقديم بعض حروف الكلمة على بعض وأكثر ما يتفق القلب في المعتل والمهموز، وقد جاء في غيرهما قليلا، نحو: "امْضَحَلَّ" و"اكرهَفَّ" في "اضْمَحَلَّ"[5] و"اكفَهَرَّ" [6] ، وأكثر ما يكون بتقديم الآخر على متلوِّه نحو: "ناء"، "يَنَاء" في "نَأى يَنْأى" وراء من رأى" [7]

والملاحظ أن التغيير (القلب المكاني) الذي يلحق الكلمة يكون له أثر على الميزان الصرفي مثال ذلك القلب الذي حصل في الصحيح "اضْمَحَلَّ" بوزن افْعَلَلَّ حيث تقدمت الميم على الضاد فصار "امْضَحَلَّ" بوزن "اعْفَلَلَّ" وهو قليل. وأكثر ما يكون في تقديم الآخر على الذي قبله، ويليه مثل: ناء بوزن "عَفل" مقلوب "أَنَى" بوزن "فَعَل" حيث تقدمت النون والألف على الهمزة.

فالقلب المكاني مطّرد في المعتل والمهموز ويقل في الصحيح. وهو سَمَاعي على كثرته. ويُراعى في الميزان الصرفي، والغاية منه "الاتِّساع في اللغة من غير تَأَتٍّ ولا صنْعَةٍ، ومثله موقوف على السَّماع ليس لنا الإقدام عليه من طريق القياس" [8] والحقيقة أن هذه المقولة قد طرحتها الدراسة التي قام بها حسن محمد شرف، والتي أقَرَّت بأن القلب المكاني قِسْمة عادلة بين الصحيح والمعتل والمهموز [9] ومن يرجع إلى كتاب الخصائص أو المزهر في علوم اللغة للسيوطي يلحظ ذلك. أما عن مسألة الكثرة فيحتاج البحث إلى استقراء تام للمفردات التي يتحقق فيها القلب المكاني حتى نقف على صحّة هذه الدعوى فنُقرّها ونؤصِّلها أو نطرحها بالدليل والحجّة.

---

[1] لاثٍ: من لاث الكلام لَوثا، ولَوّثه: جَمْجَمَه فلم يُبِنْه، والإزارَ والعِمَامة: أدار بعضهما على بعض وأيضا نشرها، وأيضا غَلَب والشيء قوي واشتدت شكيمته. انظر: ابن القطاع، كتاب الأفعال، ص458.

[2] شَاك: من شاك الشوكة يَشَاكُه شَيْكًا: مشى فيه، وشيك هو يُشاك شاكه: وقع فيه، وشاك الرجل يُشاك شؤكا: ظَهرت شوكته وحدّته، انظر: كتاب الأفعال، ص279.

[3] ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مؤمن بن عبد الله ت.669هـ)، الممتع في التعريف، تح: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1399هـ – 1979م، ج2، ص215. وانظر: أبا حيان الأندلسي (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ت.745هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: مصطفى أحمد النماس، ط1، 1404هـ – 1984م، ج1، ص160.

[4] الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن ت. 686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهد لعبد القادر البغدادي، حققهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د/ط، سنة الطبع 1402 – 1982ج1، ص21، وانظر: أبا حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب، ج1، ص160.

[5] اضْمَحَلَّ الشيء: ذَهبَ وامْضَحَلَّ مثله، انظر: ابن القطاع، كتاب الأفعال، ص309.

[6] اكْفَهَرَّ الرجل: تَجَهَّم غير منبسط واكرهَفَّ كذلك، انظر: المصدر السابق، ص442.

[7] انظر: شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص21، وانظر: الخصائص لابن جني، ج2، ص47.

[8] ابن جني، الخصائص، ج2، ص58.

[9] انظر: حسن محمد شرف، المقال: "القلب المكاني عند العرب، "مجلة مجمع اللغة العربية، م42، العدد 29، 1428هـ- 2007م، ص124.

والسؤال بم يُعرف القلب المكاني؟ إنَّ الإجابة عن هذا السؤال كانت من قبل العلماء الذين سَبَقُونا إلى مثل هذا السؤال، وتتجلّى في:

4. علامات القلب المكاني: لقد قيّد النحاة القلب المكاني بخمس علاماتٍ: [1]

أوّلها: أن يكون أحد اللفظين أكثر استعمالا من الآخر، فيكون الأكثر استعمالا هو الأصل والآخر مقلوب عنه نحو: "لَعَمْري" مقلوب "رَعَمْلي". فالأول أكثر استعمالا وهو الأصل والثاني مقلوب عنه وهو الأقل استعمالا.

ثانيها: الاشتقاق وهو ما عبَّر عنه ابن عصفور في ممتعه بكثرة التصريف على النظم الواحد، ويكون الآخر أقل تصرّفا نحو: شوائع وشواعي فالأول متصرف عن شاع يشيع شيوعا فهو شائع، وهي شائعة وشوائع فلذلك كان شوائع أصل لشواعي.

ثالثها: مُلازمة الزوائد لأحد اللفظين والآخر يكون مجردا عنها، إن الذي يكون مزيدا أضعف من المجرّد نحو: "اطمأَنَّ" أضعف من "طَأْمَنَ" هذا رأي سيبويه، وخالفه الجرمي باعتبار المزيد أصل وغير المزيد مقلوب عنه ووافقه ابن عصفور حيث اعتبر "اطمأنّ" أكثر تصرّفا من "طَأْمَنَ".

رابعها: عدم إحلال أحد اللفظين دليل على أنه مقلوب عن أصل، نحو: أَيِسَ مقلوب يَئِس، لأن أيِسَ لم تقلب؛ أي لم تقلب الياء المتحركة المنفتح ما قبلها ألفا فهي ليست بأصل، ولو كانت أَصْلا لأُعِلَّت، ولا ينبغي – يقول ابن عصفور – أن نجْعل تصحيحه شاذًّا "كَعَوِرَ"، لأن القلب أوسع وأكثر من تصحيح المعتل [2].

خامسها: أن يترتّب على عدم القلب المنع من الصرف كأشياء بوزن أفعال، وهي في الأصل مقلوبة عن "شَيْئَاء" بوزن "فَعلاء" الممنوعة من الصَّرف لعِلَّة التأنيث، ولو لم تكن مقلوبة لصُرفت كأسماءٍ جمع مفرد اسم، فمنع أسماء الصرف بالنظر إلى الأصل.

وبناء على هذه "العلامات" نتعرّف بعض الألفاظ القرآنية التي شملها القلب المكاني في القراءات السبعية.

5. القلب المكاني في القراءات السَّبعية:

يرى أحمد بن فارس أن القلب المكاني لم يقع في القرآن الكريم وهذا نص مقالته في كتابه الصاحبي في فقه اللغة "ومن سُنن العرب القَلبُ وذلك يكون في الكلمة ويكون في القصة (ويعني بها الجُملة).

فأمَّا الكلمة فقولهم: جذب وجبذ وهو كثير، وقد صنّفه علماء اللغة، وليس هذا فيما أظن من كتاب الله جَلَّ ثناؤه شيء. [3]

فابن فارس يعتقد أنّه لا وجود للقلب المكاني في القرآن الكريم، على خلاف نحاة البصرة والكوفة، وهو منهم، الذين يرون أن القلب المكاني يكون في ألفاظ قرآنية [4] ، نذكر منها: "الطاغوت" وقد ورد ثمان مرَّات، وا"لملائكة" ثلاثة وسبعين مرّة، و"مَيّت" بصيغة

---

[1] ابن جني، الخصائص، ج2، ص58، وانظر: أبا حيان، ارتشاف الضرب، ج1، ص160 و161، وانظر: أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ضبطه وعلق عليه: علاء الدين عطية، دار ابن خلدون للطباعة والنشر، ط3، 1423 – 2002، ص30. وانظر: طنطاوي محمد درّاز، ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية، د/ط، 1986، ص324.

[2] انظر: ابن عصفور، الممتع، ج2، ص618، والكتاب، ج4، ص381.

[3] ابن فارس (أبو الفتح أحمد ت.395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن سبح، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1418 – 1997م، ص153. وانظر: الثعالبي (أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل ت.429)، فقه اللغة وسر العربية، تح: أحمد شرقي أبو خليل، المكتبة التوفيقية، ط2، 2015، ص386 - 387.

[4] انظر: ابن جني، الخصائص، ج2، ص58 – 59، وانظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1، ص338.

المفرد أربع عشرة مرّة، و"هَيِّن" ثلاث مرات، و"أشياء" أربع مرّات، و"اطمأن" بصورة الماضي والمضارع تسع مرات، و"هار" مرة واحدة، وألفاظ أخر تحتاج إلى تتبع وإحصاء.

وقد قام عبد الخالق عضيمة باستقراء الكلمات التي تعيّن فيها القلب المكاني في القرآن الكريم، وذلك في كتابه دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ووجد أن هناك ألفاظ في القراءات السبعية تعيّن فيها القلب المكاني وإن قلّت، وأخرى في القراءات الشاذة وهي كثيرة. [1]

ومن الألفاظ التي وقع فيها القلب المكاني في القراءات السبعية (المتواترة) أو يحتمل أنه قد وقع فيها القلب، أو اختلف النحاة فيها من حيث وقوع القلب أو عدم وقوعه نذكر أنواعا ثلاثة:

1.5 النوع الأول: وهو الذي يتعين أنه وقع فيه القلب المكاني باتفاق ومن أمثلته: "الطّاغوت" وقد ورد في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، حيث وَرَد في ثلاث سور مدنية وهي البقرة في موضعين في قوله تعالى: {**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**} [البقرة: 256]، وأيضا في قوله تعالى: {**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**} [البقرة: 257]، وفي النساء في ثلاثة مواضع في قوله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا**} [النساء: 51]، وأيضا في قوله تعالى: { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ**} [النساء: 60]، وفي قوله أيضا: {**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ**} [النساء: 76]، وفي موضع واحد من سورة المائدة في قوله تعالى: {**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**} [المائدة: 60]، كما ورد في سورتين مكيتين: سورة النحل في قوله تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**}[النحل: 36]، وفي الزمر في قوله تعالى: {**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ**} [الزمر: 17]، وقوله تعالى: { **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**} [البقرة: 256].

فالطاغوت: مصدر الفعل طَغَى، يَطْغَى، طُغْيَانا، أو طَغَا يطغو طَغْوا، جاء في كتاب الأفعال "طَغَا، وطَغِيَ، طَغْوًا، وطُغْيَانا، وطُغْوَانا وطَغَى: "أَسْرَف في الظلم والمعاصي" [2]

والمعنى أن طَغَا يأتي من باب فَعَل يفعُل، وفَعِل يَفْعَل، والمصدر من الأول طَغْوًا وطُغْيَانًا وطُغْوَانًا، ومن الثاني طَغَى وهو لا يتعدّى الفاعل، واسم الفاعل منه طَاغٍ يقول الزمخشري: "وفُلانٌ طَاغٍ بَاغٍ، وتَمادى به الطُّغْيان والطّغْوى، وهو طَاغِية: جبار عنيد، وأطغاه مَالَه، ومن المجاز: طَغَى البحرُ والسيَّل وتَطَاغَى الموج، وطَغَى به الدّم." [3]

---

[1] انظر: عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، طبع ونشر دار الحديث القاهرة، د/ط، سنة الطبع 1425هـ – 2004م، م4، القسم 2، ج1، ص41 – 50.

[2] ابن القطاع، كتاب الأفعال، ص319، وانظر: الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير، وأساس البلاغة، الدار العربية للكتاب، ط3، 1980، ج3، ص80.

[3] الزمخشري، أساس البلاغة، ص281.

وجاء في المصباح: طَغَا طَغْوًا من باب قَال، وطَغِيَ طَغًى من باب تَعِب، ومن باب نَفَع لغة أيضاً، فيقال طَغَيْتُ (بفتح العَيْن وكسرها) ... قال الطاغوت: تاؤها زائدة وهي مشتقة من طَغَا، والطّاغوت يذكر ويؤنث والاسم الطُّغيان، وهو مجاوزة الحَدّ...والطّاغوت: الشيطان، وهو في تقدير: فَعَلوت بفتح العين، لكن قُدِّمت اللام في موضع العَيْن، واللام واو محركة مفتوح ما قبلها، فقلبت ألفًا، فبقي في تقدير: فَلَعُوت ... " [1]

فالطاغوت مشتق من الطّغيان وهو مجاوزة القدر والحدّ، وهو يذكر ويؤنث، ويأتي واحدا وجماعًا وقد اختلف في هذا: «فَقَوم يقولون واحدُ مؤنث، وقال قومٌ بل هو اسم للجماعة، قال الله تعالى: **{وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ}** [الزمر: 17]، فهذا قول والأصوب عندي – والله أعلم – أنّه جماعة، وهو كل ما عُبِد من دون الله من إنْس أو جِن وغيره... قال الله تعالى: **{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}** [البقرة: 257]، فهذا متبَيَّن لا مُدافعة له... هذا مثل المصدر الذي يقع على الواحد وعلى الكثير.

وطاغوت: فَلْعُوت مقلوب فَعَلُوت، مثل مَلَكُوت والرَّهبوت، إلا أنَّه قُلِب وكان القياس أن يكون طَغَيوت لأنه من الطغيان. وقولهم إن يكون واحدة أيضا، لم يَدْفَعوا به أن يكون جماعة، وادِّعاؤهم أنه واحدة يحتاجون فيه إلى ثَبْت». [2]

فالطّاغوت في رأي المبرّد اسم للجماعة، وخالفة ابن سَيّده بقوله: "الطاغوت يقع على الواحد والجميع وقد قدّمت أنه يُذكّر ويؤنث، قال الفارسي: قال محمد بن يزيد الطاغوت جمع وليس الأمر عندنا على ما قال وذلك أن الطّاغوت مصدر كالرغبوت، فكما أنّ هذه الأشياء التي هذا الاسم على وزنها آحاد وليست بجموع فكذلك هذا الاسم مفرد وليس بجمع والأصل فيه التذكير وعليه جاء "وقد أُمروا أن يكفروا به، وأمّا قوله أن يعبدوها فإنما أتت على إرادة الآلهة التي كانوا يعبدونها..." [3]

والطاغوت يصح أن يكون واوي اللام من الطُّغوان أو الطَّغو، أو يأتي من الطّغيان كما أن الفعل يأتي من طَغَا يَطْغو، ومن طَغَيْتُ طُغْيَانًا كما سبق الذكر، ويُجَوّز الأنباري "أن تكون لامُهُ واوًا فيكون أصله طَغَوُوت "لقولهم طَغا يطغو... وقيل أصله طَاغُوٌ على فَاعول فَأُبدِلت من الواو الثانية تاء فصار طاغوت " [4]، وهذا مستبعد في نظري، وإنّما زيدت التاء كما زيدت في رَحَمُوت وملكوت.

"فالطاغوت" اسم يذكر ويؤنث وإن كان الأصل فيه التذكير لأنه مصدر، والمصدر نوع من الأسماء والأصل في الاسم التذكير والتأنيث فرع عليه، ويُوزن على "فَلَعوت" لأنه مقلوب عن الأصل "طَغَيوت" بوزن "فَعَلوت" فلامه ياء لأنه من الطغيان، قال تعالى:

---

[1] الفيومي (أحمد بن محمد بن علي، ت.770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الحديث – القاهرة، د/ط، سنة الطبع 1429هـ – 2002م، ص233.

[2] المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت.286هـ)، كتاب المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة، ط2 مزيدة ومنفتحة، 1417هـ – 1996م، ص89 و90.

[3] ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ت.458هـ)، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د/ط، د/ت، م5، السفر 17، ص28 و29، وانظر: الجرجاني (عبد القاهر ت.474هـ)، المقتصد في شرح التكملة، تح: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الدّويش، د/ط، 1428هـ – 2007م، سلسلة الرسائل الجامعية، ج1، ص804 و206.

[4] الأنباري (كمال الدّين أبو البركات ت.577هـ)، البيان في غريب القرآن، تح محمود رأفت الجمال، الناشر: دار التوفيقية للتراث، د/ط، د/ت، ج1، ص140.

{اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة: 15]، قُدّمت اللام التي هي ياءٌ موضع العين طيغوت، تحرّكت الياء وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفا فَصَارت "طَاغوت" بوزن فَلَعُوت والتاء زائدة فهي مثل: جبروت، ورحموت بمعنى التجبّر والرّحمة [1] (2)

واختلف أهل التأويل ــ يقول الطبري ــ في معنى الطاغوت فقال بعضهم "الشيطان" وقال آخرون "الساحر" وقيل "الكاهن" والصّواب من القول عندي في الطاغوت «أن كل ذي طُغيان على الله فعُبد من دونه، إمّا بقهر منه لمن عَبَده وإمّا بطاعة ممَّن عَبَدَه له، إنسانا كان ذلك المعبود أو شيطانا أو وثنا أو صَنَما أو كائنا من كان من شيء، وأرى أن أصل الطاغوت: "الطغَوُوت" من قول القائل طَغَا فلانٌ يَطغو إذا عدا قدره فتجاوز حدّه كالجبروت من التجبر والخلبوت من الخَلْب [القطع]... تأتي على قدر فَعَلوت بزيادة الواو والتاء.

والطاغوت في قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 256 - 258]، الأنداد والأوثان التي يعبدونهم من دون الله وجمع خبر الطاغوت في قوله تعالى: {أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم }، والطاغوت واحد، قيل: إن الطاغوت اسم لجماعٍ وواحدٍ... وإذا جعل واحده وجمعه ولفظ واحد كان نظير قولهم رجُلٌ عدْل وقوم عدْل، وفُسِّر في الزمر: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ} [الزمر: 17]، بأنه الشيطان» [2]

فالطاغوت يعامل معاملة الجمع في قوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} [البقرة: 257]، بدليل يخرجونهم، أي جماعة في المعنى وهو في اللفظ واحد، وقد جمع فقالوا: الطواغيت [3] ، ويقول النحاس الطاغوت مؤنث [4]، وقال سيبويه هو مذكر [5] والطاغوت يذكّر ويؤنث بحسب السياق القرآني الذي ورد فيه، وقال أبو الفتح: "إن الطاغوت وزنها في الأصل فَعَلوت وهي مصدر بمنزلة الرّغبوت... ويدل على أنها في الأصل مصدر وقوع الطّاغوت على الواحد والجماعة بلفظ واحد، فجرى لذلك مجرى قومٌ عدْلٌ ورضا ورجل عدل ورضا، ورجُلان عدْل ورضا. فأما أصلها فهو "طغَيُوت" لأنها من الياء يدل على ذلك قوله تعالى: {فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة: 15]، هذا أقوى اللغة فيها، لأن التنزيل ورد به.

وقد يجوز أن يكون أصله "طغووت" مثل: "فَعَلُوت" من غَزَوت، غَزَوُوت...ثم إن اللام قدّمت إلى موضع العيْن فصارت بعد القلب "طَيَغوت" أو "طَوَغوت" فلمّا تحركت الياء أو الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا، فصارت "طاغوت" كما ترى ووزنها بعد القلب

---

[1] أنظر: ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي ت.643هـ)، شرح المفصّل، تح: سيد أحمد، راجعه ووضع فهارسه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، د/ط، د/ت، م4، ج9، ص390.

[2] الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت.310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، د/ت، ج3: ص24 و25 و30، وج24: ص240.

[3] الأخفش (سعيد بن مسعدة البلخي ت. 215هـ)، معاني القرآن، دراسة وتحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1405هـ – 1985م، ج1، ص380، انظر: القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت. 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، صححه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، د/ط، د/ت، م3، ص281 و283، وانظر: المصدر نفسه، ج5، ص248 و249.

[4] النحاس (أبو جعفر ت.338هـ)، إعراب القرآن، اعتنى به صلاح منصور، المكتبة التوفيقية، ط1، 2014م، ص102.

[5] سيبويه، الكتاب، ج4، ص381.

"فَلَعُوت" ويقول: ورَوينا عن قطرب في كتابه الكبير: طغَى، يطْغى، يطغو، وطَغَيت، وطَغِيت، وطَغَوت، طُغْيانا، وطُغْوَانا، وطَغْوا، وطُغُوًّا، وطَغْولى فاعلم" [1] (5)

ولقد رُوي الطاغوت في متواتر القراءات بصيغة الإفراد، ورُوي في شواذها بصيغة الجمع طواغيت في قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ}** [البقرة: 257]

ونُسبت قراءة الجمع إلى الحسن البصري [2] ، ومن ذلك ما رواه جويرية بن بشير قال: سمعت الحسن قرأها "الطواغيت" [3] ، والطاغوت يُطلق على رأس كل ضلالة، وعلى الشيطان والكاهن والساحر، وعلى كل ما عُبد من دون الله من الإنس والجن والأصنام. [4]

نلاحظ أن نص ابن جني يلخص كل الآراء التي ذُكرت وأن الطاغوت مصدر طَغَى يطغو وطَغَيْت طُغْيانا عند أكثر النحاة وهو مقلوب عن "طَغَوُوت" الذي يجمع على طَوَاغيت، وهو مقلوب طَوَغوت/ أو طَيَغُوت، تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفا فَصارت (طَاغوت) والواو والتاء زائدتان، وقيل التاء للمبالغة والتوكيد مثله في ذلك مثل: رَحَمُوت ورَهَبوت وما شابههما وهما من الرحمة والرهبة، ويُجْمِع النحاة على أنه مقلوبٌ عن أصل وأميت الأصل واستُعمل الفرع، ومعناه لغة: تَجاوُزُ الحد أما في الاصطلاح الشرعي فيأتي بمعنى السحر أو الكاهن أو الشيطان أو كل ما عُبد من دون الله من شيء بشرا كان أم حجرا.

ومن تتبعنا لأقوال بعض أهل النحو وأهل اللغة والتفسير والقراءات، اتضح لنا أنه هناك شبه إجماع على أن لام "طاغوت" تكون واوا أو ياءً وأنه مصدر مفرد، وأنه يُذكّر ويؤنث وإن كان الأصل فيه التذكير لأنه نوع من الأسماء. ولأنه يدل على الواحد والجمع بوضعه وزيد على حروفه الأصول واوٌ وتاء للمبالغة، وأنه أبلغ في المعنى من الطُّغيان.

2.5 النوع الثاني: وهو الذي يحتمل القلب وغيره كلفظ "هَارٍ" في قوله تعالى: **{أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ}** [التوبة: 109]

ورد "هَارٍ" مَرّة واحدة في القرآن الكريم، وفِعْلُه: هَارَ يَهِيرُ وهَارَ يَهُورُ فهو هَائِرٌ (هاير وهاوِرٌ) يقال هَار البناء وتَهَوَّر إذا سقط نحو: انهار، قال: **{عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}**

قرئ هارٍ، يُقال بئر: هائِرٌ، وهَارٌ، وهَارٍ، ومُهَارٌ، ويُقال انهار فلانٌ: إذا سقط من مكانٍ عالٍ، ورجلٌ هَارٍ وهائِر: ضعيف في أمره تشبيها بالبئر الهائر. " [5]

---

[1] ابن جني (أبو الفتح عثمان ت,392)، المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ – 1998م، م1، ص223 – 225.

[2] الحسن البصري، هو الحسن بن أبي الحسن سيار السيد الإمام وكنيته أبو سعد البصري إمام أهل زمانه علما وعَملا، وقرأ على حطان بن عبد الله الرقاشي عن أبي موسى الأشعري، وقرأ على أبي العالية عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وروى عنه أبو عمرو بن العلاء وعاصم الجحدري، وسلام بن سليمان الطويل وله مناقب جليلة وأخبار كثيرة، انظر: أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت، الدار السودانية للكتب – الخرطوم، ط1، 1408 م – 1988م، ص347.

[3] انظر: ابن جني المحتسب، م1، ص225.

[4] انظر: أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات، ص347.

[5] الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص513، وانظر: ابن جني، المحتسب، م2، ص263 و264.

فالمتأمل لكلام الأصبهاني يلحظ أن هَائِر وهَارٍ بمعنى واحد، وأن قوله رجل هارٍ وهائر لغتان بمعنى، غير أن المستعمل في القرآن هو "هَارٍ" طلبا للتخفيف إذ معنى كلٍّ من "هَارٍ" و"هَائر" واحدُ وجاء في كتاب الأفعال: "هَارَ الجُرْف هَوْرًا، أوْفَى عَلى السُّقوط..." [1] و"هَوَّر البناءُ فتَهَوّر: هَدَمَهُ: تَهَوَّر الليل وتَهَوَّر الشتاء: أَدْبَر، وفلانٌ يَتَهَوَّر في الأمور، يقع فيها من غير فكر." [2]

وهَارَ من باب قال المعنى انْصَدَع ولم يَسْقُط فهو "هَارٍ" مقلوب "هَائِر" فإذا سقط فقد انهار وتَهَوَّر أيضا [3] وتَهَيَّر [4]، وانهار، وهذا معناه: أن فِعْل "هَارٍ" يكون من باب قال وبَاع، هَارَ، يَهُورُ ومنه تَهَوَّر، وهَارَ يَهيرُ ومنه تَهَيَّر وكِلاهُما بمعنى انْهَار، واستعمل اسم الفاعل منه بصورة "هَارٍ" المحذوف الهمزة، و"هَائِرٌ" المهموز. وكذا من باب خَاف: "هَارَ يَهَارُ"، وفسر الطبري "هَارٍ" في الآية بقوله "يَعْني مُتَهَوِّر، وإنّما هو هَائر ولكنه قُلِب، فأخَّرت ياؤها، فقيل "هَار" كما قيل: هو شاك السّلاح، وشائك، وأصله من هَارَ يَهُورُ (خَاف) فهو هَائِر، وقيل: من هَارَ يَهَارُ: إذا انْهَدَم. ومن جعله من هذه اللغة، قال: هَرْتَ يا جُرُفُ [5] ، ومن جَعَلَه من هَارَ يَهُورُ قال هُرْتَ يا جُرُف وإنما هذا مثل. يقول تعالى ذكره أي هذين الفريقين خيرٌ، وأي هذين البناءين أثبت أمَن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله وعَلِمَ منه بأنّ بناءه لله طاعة والله به راضٍ، أم من ابتدأه بنفاقٍ وضَلالٍ على غير بَصِيرةً منه بصواب فِعْله من خَطَئِه فهو لا يدري متى يَتَبيَّن له خطأ فِعْلِه وعظيم ذنبه فيهدمه.» [6]

وقال القرطبي: «هَارٍ: سَاقط، يُقال تهوَّر البناء إذا سقط، وأصله هائر، فهو من المقلوب يقلب وتؤخر ياؤها، فيقال: هَارٍ وهائِر، قاله الزجّاج... وزعم أبو حاتم أن الأصل فيه هاوِر، ثم قال هائِر... ثم يقلب فيقال هَارٍ» [7].

فمن تقديم الآخر لامًا والمتلو عَيْنًا هَارٍ" [8] والمقصود هو تقديم حرف الراء الذي هو لام الكلمة عن عينها التي هي همزة الكلمة المنْقلبة عن أصل (واو أو ياء) هَاوِر، أو هَاير تطرفت الياء أو الواو بعد ألف فانقلبت همزة فَصَارت "هَائر" كصَائِم وقائم وما شاكلهما، ثُمّ تقدمت الرَّاء فصارت "هَارو" فوقعت الواو بعد كسرة فأبدلت ياءً ثم حُذفت فصارت هَارٍ كقَاضٍ وداعٍ وساعٍ، وتُفسَّر تفسير "شاك" و"لاث".

وقد مثل الميداني للقلب المكاني باسم الفاعل من الفعل المعتل الوسط: "لاعٍ" و"شَاكٍ" والأصل في اسم الفاعل الذي أعِلَّ فعله أن تقول فيه: لائع، وشائك وقد كان القلب المكاني قبل إعلال العَيْن بقلبها همزة، كما قال الميداني "لاعي" و"شاكي" فأعلَّ إعلال "قاضٍ" فحذفت الياء في كُلٍّ من لاعٍ وشاكٍ والوزن حينئذ "فالٍ" [9] (2) ومثله في ذلك هَارٍ.

---

[1] ابن القطاع، كتاب الأفعال، ص548.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، ص488. الزمخشري، أساس البلاغة، ص488.

[3] الفيومي، المصباح المنير، ص402.

[4] أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ج4، ص544.

[5] الجُرُفُ: مَا يتجَرَّف بالسيول من الأودية، وهومن الجَرَفِ، والاجتراف: الاقتلاع من أصله، والجُرُفُ أيضا: ويعني ليس له أصل.

[6] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج11، ص39 و40.

[7] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص264 و265، وانظر: الأخفش معاني القرآن، ج2، ص560، وانظر: ابن جني، الخصائص، ج2، ص53 و54.

[8] انظر: أبا حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب، ج1، ص160.

[9] الميداني، نزهة الطرف في علم الصرف، ج2، ص277، ص278.

نخلص إلى أن هَارٍ يَصدُق فيها القلب على الرأي الذي يرى أن هَاوِر/ وهَاير تقدّمت الراء وهي لام الكلمة عن العين وهي واو الكلمة فصار "هارِو" وقعت الواو بعد كسْرة فقلبت ياءً ثم حُذفت الياء لالتقاء الساكنين (نون التنوين والياء الساكنة) فَصَارت "هَارٍ" ومثلها "هَاري" لكن من غير قلب.

وعلى الرأي الثاني: فالكلمة قد حُذفت عينها فصارت "هَارٍ". وأيًّا كان الأمرُ فإن المعنى هو هو في اللفظ سواء تحقق القلب أم غيره والذي لا اختلاف فيه هو تحقُّقُ التخفيف في الحالَيْن.

3.5 النوع الثالث: ما اختلف فيه النحاة، فمنهم من يرى فيه القلب، ومنهم من ينفي عنه ذلك نحو: "اطمأنَّ" الذي جاء بصورة الماضي ثلاث مرات في قوله تعالى: {**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ**} [الحج: 11]، وفي قوله: {**فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**} [النساء: 103]، وفي قوله: {**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ**} [يونس: 7]، وجاء في صورة المضارع في سِتَّة مَوَاضع في قوله تعالى: {**قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**} [البقرة: 260]، وفي قوله تعالى:{**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ**}[آل عمران: 126]، وفي قوله: {**قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ**} [المائدة: 113]،

{**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**} [الأنفال: 10]، وفي قوله: {**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**} [الرعد: 28] وأما بصيغة اسم الفاعل المفرد والجمع في قوله تعالى: {**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**} [النحل: 106]، وقوله: {**قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا**} [الإسراء: 95] وبصيغة المؤنث مطمئنة في قوله تعالى: {**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**} [النحل: 112]، وقوله: {**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**} [الفجر: 27].

و"اطمأنَّ": فعل مزيد بثلاثة أحرف (الألف، والهمزة، والنون)، وهو بوزن: افْعَلَلَّ، والرباعي منه: "طَمْأَنَ"، "يُطَمْئِنُ" بوزن: دَحْرَج، يُدَحْرِجُ والمصدر منه: طَمْأَنَة، والاسم: طُمَأنينة، والطُّمَأنينة، والاطمئنان: السكون بعد الانزعاج قال: ولتَطْمَئِنَّ به قلوبكم..."ياأيتها النفس المطمئنة" [1] وهي أن تصير أمَّارةً بالسُّوء، وقال تعالى: "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"... فاطمأنَّ بمعنى سَكَن من "اطمأن الرجُلُ سَكَنَ واطمأنَّ كذلك", [2]

"واطمأنَّ قلبه على الإيمان وهو آمن مُطْمَئِنٌّ، ورأيته قَلِقًا غَرِقًا فطَمأَنت منه حتى اطمأنَّ، وتَطَامَن واطمَأنَّ إليه: سكن إليه ووثق به..." [3]

"قال بعضهم: والأصل في اطمأنَّ الألف مثل: احْمَارَّ واسْوادَّ، لكنهم هَمَزوا فِرَارًا من الساكتين على غير قياس بدليل قولهم: "طَأْمَن" الرجُلُ ظَهْرَه بالهمز على "فَأْعَلَ" ويجوز تسهيل الهمزة، فيقال: طَامَن، ومعناه: حَنَاه وخَفَضَه". [4]

---

[1] الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص310.

[2] ابن القطاع، كتاب الأفعال، ص321.

[3] الزمخشري، أساس البلاغة، ص284 و285.

[4] الفيومي، المصباح المنير، ص236.

"والطَّمْنُ بالفتح: الساكن كالمطْمئِنِّ جمع طُمُون، واطمأنَّ إلى كذا اطمئنانا وطُمأنينة، وهو مُطْمَئِنٌّ وذلك مُطَمَأنّ" [1] (5)

فاطمأنّ واطْبَأنَّ لغة فيه بمعنى سكن، والرباعي منه طَأْمَنْتُ، وهناك من يرى أن الأصل في الهمزة في "اطْمَأن" الألف مثل: احْمَارَّ، وعلة همزهم هُرُوبهم من الساكنين (الألف والنون)، وهناك من يقول "طَأْمَن" هو أصل "اطمأنَّ" ويجوز تسهيل الهمزة (طَامَنَ) وهذا الذي ذهب إليه "سيبويه" حيث يقول: "ومثل هذا في القلب طَأْمَنَ واطْمَأَنَّ. فإنما حمل هذه الأشياء على القلب حيث كان معناها معنى مالا يَطَّرِد ذلك فيه، وكان اللفظ فيه إذا أنت قلبته ذلك اللفظ، فصار هذا بمنزلة مَا يكون فيه الحرف من حروف الزوائد، ثم يشق في معناه مَا يذهب فيه الحرف الزائد" [2]

والفعلُ اطْمأنَّ فِعْل مزيد بثلاثة أحرف وهي "الألف والهمزة والنون" [3] ، والثلاثي منه "طَمِنَ" من الطّمْن بمعنى: السكن، واطمأنَّ مُطاوع طمأنته كدَحْرَجْتُه فتدحرج.

وجاء في الخصائص: "ومن ذلك قولهم: اطْمَأنَّ ذَهَبَ سيبويه فيه إلى أنّه مقلوب، وأنّ أَصْلَه "طَأْمَنَ" وحُجّتُه في ذلك أنَّ الزيادة إذا لحقت الكلمة، لحِقها ضَرْبٌ من الضّعْف، ومن ثَمَّ لا يصِحُّ إلا أن تكونَ مقلوبة، وخالفه أبو عمر الجَرْمي، في أنه جَعَل اطمأنَّ أصلٌ وطَأْمَنَ فرع، ويرى أنّ أصل هذا الفعل أن تكون الميم قبل الهمزة، والصحيح – يقول ابن جني — هو ما ذهب إليه "سيبويه" [4]، ويضيف "اعلم أنّ أصل "افْعَلَلَّ"، "افْعَلَّلَ" فعلى هذا ينبغي أن يكون أصلُ "اطمأنَّ": "اطْمَأْنَنَ". فكرهوا اجتماع مَثَلَيْن متحرّكين، فأسكنوا الأول ونقلوا حركته إلى ما قَبْله ثمّ أُدغمت اللام الثانية في اللام الثالثة، فصار "اطْمَأنَّ" كما نرى، ويدُلُّ على أن اطمَأنَّ أصله "اطْمَأْنَنَ"، وأنهم إنَّما فعلوا ذلك كراهة اجتماع مثلين متحركين أنه إذا سُكِّن الآخر منهما عاد البناء إلى أصله" [5]

6. خاتمة:

الذي نخلص إليه بعد هذه الدراسة جملة ملاحظات:

- **أولها:** أن القلب المكاني واقع لُغوي كَثُر أو قَلَّ في كلام العرب أو في القرآن الكريم، وأن الغرض منه التخفيف.
- **ثانيها:** من تتبُّعنا للقلب المكاني في القرآن الكريم، تحَقَّق لدينا وبما لا يدعو إلى الشَّك، وجود ألفاظٍ تعَيَّن فيها القلب المكاني نحو: "الطَّاغوت"، ولفظ "هَارٍ" و"اطْمَأنّ" يصنفان في باب المعتل الوسط، وباب المهموز (الصحيح). ولكنّ الفائدة التي نسَجّلها هي أن: "هَارٍ" يحتمل قولين: (وجهين)

– القول الأول: أن "هَارٍ" و"هَائر" لغتان وهُمَا بمَعْنَى، وليس أحدهما بمقلوب عن الآخر بدليل ورودهما في المعجمات اللغوية.

– القول الثاني: أن "هَارٍ" مقلوب "هائر"، وإن صحَّ هذا فإنّ المقلوب لا يختلف في معناه عن الأصل.

وبهذا فالقولان يتفقان في أن دلالة "هارٍ" و"هَائر" واحدة ويختلفان فقط في كون "هَارٍ" أَخَفُّ من "هَائر".

- **ثالثهما:** إن اختلاف النحاة في "اطْمَأن" و"طأمن" أيُّهما مقلوب عن الآخر ترتب عنه رأيان:

---

[1] الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ج3، ص100.

[2] ابن جني، الخصائص، ج2، ص50، وانظر: المنصف، م2، ص104.

[3] ابن جني، المنصف، م1، ص90.

[4] سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت: 180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط3، 1403 – 1983م، ج4، ص381.

[5] الميداني، نزهة الطرف في علم الصرف، ج1، ص209.

أحدهما: يرى أن المجرد "طأمن" أصل للمزيد "اطمأنَّ" وهذا رأي "سيبويه" ومن تبعه من النحاة أمثال: ابن جني.

والآخر: يرى أن المزيد "اطمأنَّ" هو أصل للمجرد. وهذا مذهب أبي عمرو الجرمي ومن تبعه من النحاة أمثال: ابن عصفور، وهو أيضا ما دفع ببعض المحدثين إلى اعتبار المزيد أصل للمجرّد أمثال "عبد المالك مرتاض" ومن نهج نهجه.

وأقول: إن القلب المكاني في كلام العرب أو القرآن الكريم، لم يأخذ حضّه من الدراسة، ولذا أوصي بدراسة شاملة للقلب المكاني في المعجمات العربية (اللغوية)، وفي القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والشاذة، وفي الحديث النبوي الشريف، علَّنا نتوصَّل إلى نتائج تؤكد بأن القلب المكاني ظاهرة صرفية، وحقيقة لغوية، كما نتعرَّف الغرض من استعمال المقلوب الذي يُمثل الفرع، وإغفال الأصل، أو استعمالهما جميعا، هو من باب الرفاه والثراء اللغوي الذي تتمتع به عربيّتنا الجميلة، أم له دلالة نحن غافلون عنها.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بالرسم العثماني، دار الفضائل للنشر والتوزيع، دمشق _ بيروت، ط 12، 1434هـ_2013م.

1/ أحمد البيلي، الاختلاف بين القراءات، دار الجيل، بيروت، الدار السودانية للكتب – الخرطوم، ط1، 1408 م – 1988م.

2/ أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ضبطه وعلق عليه: علاء الدين عطية، دار ابن خلدون للطباعة والنشر، ط3، 1423 – 2002، ص30.

3/ الأخفش (سعيد بن مسعدة البلخي ت. 215هـ)، معاني القرآن، دراسة وتحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1405هـ – 1985م.

4/ الأنباري (كمال الدّين أبو البركات ت.577هـ)، البيان في غريب القرآن، تح محمود رأفت الجمال، الناشر: دار التوفيقية للتراث، د/ط، د/ت.

5/ الثعالبي (أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل ت.429)، فقه اللغة وسر العربية، تح: أحمد شرقي أبو خليل، المكتبة التوفيقية، ط2، 2015.

6/ الجرجاني (عبد القاهر ت.474هـ)، المقتصد في شرح التكملة، تح: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الدّويش، د/ط، 1428هـ – 2007م، سلسلة الرسائل الجامعية.

7/ ابن جني (أبو الفتح عثمان (ت.392هـ))، الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد المكتبة التوفيقية، د/ط، د/ت.

8/ ابن جني (أبو الفتح عثمان ت,392)، المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ – 1998م.

9/ ابن جني، (أبو الفتح عثمان، ت392هـ)، المنصف، تح: إبراهيم مصطفى عبد الله أمير، طبع ونشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، أعاد طباعته: القدس للنشر والتوزيع، ط1، 1373هـ – 1954م.

10/ حسن محمد شرف، المقال: "القلب المكاني عند العرب"، مجلة مجمع اللغة العربية، م 42، العدد 29، 1428هـ – 2007م، ص124.

11/ أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ت.745هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: مصطفى أحمد النماس، ط1، 1404هـ – 1984م.

12/ الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسن بن محمد (ت. 506 هـ)، المفردات في غريب القرآن، راجعه وقدّم له: وائل أحمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، د/ط، د/ت.

13/ الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت. 538 هـ))، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، د/ط، د/ت.

14/ الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن ت. 686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهد لعبد القادر البغدادي، حققهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د/ط، سنة الطبع 1402 – 1982.

15/ سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت: 180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط3، 1403 - 1983م.

16/ ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ت.458هـ)، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د/ط، د/ت.

17/ السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين (ت.911هـ))، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، د/ط، سنة 1431 هـ – 2010م.

18/ الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير، وأساس البلاغة، الدار العربية للكتاب، ط3، 1980.

19/ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت.310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتعليق: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، د/ت.

20/ طنطاوي محمد درّاز، ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية، د/ط، 1986.

21/ عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، طبع ونشر دار الحديث القاهرة، د/ط، سنة الطبع 1425هـ – 2004م.

22/ ابن عصفور (علي بن مؤمن ت.669هـ)، المقرب، تح: أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، ط1، 1392 – 1972.

23/ ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مؤمن بن عبد الله ت.669هـ)، الممتع في التعريف، تح: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1399هـ – 1979م.

24/ ابن فارس (أبو الفتح أحمد ت.395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن سبح، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1418 – 1997م.

25/ الفيومي (أحمد بن محمد بن علي (ت. 770 هـ))، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الحديث للطبع والنشر القاهرة، د/ط، سنة الطبع 1429 هـ – 2008 م.

26/ القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت. 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، صححه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، د/ط، د/ت.

27/ ابن القطاع (أبو القاسم بن جعفر بن علي السعدي (ت. 515 هـ))، كتاب الأفعال، قدم له وضبطه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2003 م – 1424 هـ.

28/ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت.286هـ)، كتاب المذكر والمؤنث، تح: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة، ط2 مزيدة ومنفتحة، 1417هـ – 1996م.

29/ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت.285هـ)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، د/ط، د/ت.

30/ الميداني (أحمد بن محمد (ت.518هـ))، نزهة الطرف في علم الصرف، شرح ودراسة: يُسرية محمد إبراهيم حسن، ط1، د/ت.

31/ النحاس (أبو جعفر ت.338هـ)، إعراب القرآن، اعتنى به صلاح منصور، المكتبة التوفيقية، ط1، 2014م.

32/ ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي ت.643هـ)، شرح المفصّل، تح: سيد أحمد، راجعه ووضع فهارسه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، د/ط، د/ت.